العددِ 20 شباط 2026
No.20 Feb.2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الاصلاح السياسي في مصر القديمة آبان عصر الدولة الحديثة (1550- 1085ق.م)

م. سرمد حميد اسماعيل
قسم تاريخ / كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية/ جامعة بغداد
sarmad.h@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
أ.م.د. بشرى عناد محمد
قسم التاريخ/ كلية الاداب/ جامعة بغداد
bushra.m@coart.uobaghdad.edu.iq

المستلخص: يتناول هذا البحث التحوّلات السياسية في عصر الدولة الحديثة في مصر القديمة (**1550 - 1085** ق.م)، باعتبارها مرحلة محورية في تطور النظام السياسي المصري. فقد شهدت هذه الفترة إعادة بناء كيان الدولة على أسس مركزية متينة بعد تحرير البلاد من الهكسوس، وتطوّرًا جذريًا في مفهوم الحكم من نمط الإدارة التقليدية إلى نظام ملكي إمبراطوري يعتمد على مركزية إدارية صارمة، وهيكل عسكري منظم، وشرعية دينية راسخة، وتوظيف شمولي للموارد الاقتصادية في خدمة أهداف الدولة.

يركّز البحث على نماذج بارزة من الحكام الذين قادوا هذه التحولات، وهم أحمس الأول الذي أسس دعائم الدولة الحديثة عبر إعادة التوحيد وتحرير البلاد؛ وتحتمس الثالث الذي صقل النموذج الإمبراطوري ووسّع نطاقه عبر هياكل إدارية وعسكرية متطورة؛ ورعمسيس الثاني الذي مثّل ذروة النضج والنفوذ السياسي والدبلوماسي للدولة؛ ورعمسيس الثالث الذي واجه تحديات وجودية في نهاية العصر وحافظ على كيان الدولة من خلال إجراءات استثنائية لضمان أمنها ووحدتها.

وتوصل البحث إلى أن التحول السياسي في عصر الدولة الحديثة كان عمليةً متكاملةً ومتراكمة، ارتكزت على تحقيق توازن ديناميكي بين السلطة الملكية المطلقة، والنخبة العسكرية الفاعلة، والجهاز الإداري المركزي، والمؤسسة الدينية المهيمنة. كما يخلص البحث إلى أن اختلال هذا التوازن في مرحلته الأخيرة شكّل أحد الأسباب الجوهرية التي أسهمت في دخول الدولة مرحلة التراجع والتفكك.

الكلمات المفتاحية: الاصلاحات، السياسي، الدولة الحديثة.

Abstract : This study examines the political transformations during the New Kingdom period of ancient Egypt (1550–1085 BCE), which is considered a pivotal stage in the evolution of the Egyptian political system. This era witnessed the rebuilding of the state's structure on solid centralized foundations following the liberation of the country from the Hyksos. It also saw a radical shift in the concept of governance, moving from a traditional administrative model to an imperial monarchy based on strict administrative centralization, a well-organized military structure, entrenched religious legitimacy, and the comprehensive mobilization of economic resources to serve state objectives.

The research focuses on prominent rulers who led these transformations: Ahmose I, who laid the foundations of the New Kingdom through reunification and liberation; Thutmose III, who refined and expanded the imperial model through advanced administrative and military structures; Ramesses II, who represented the peak of the state's political and diplomatic maturity and influence; and Ramesses III, who confronted existential challenges at the end of the era and

preserved the state's integrity through exceptional measures to ensure its security and unity.

The study concludes that the political transformation during the New Kingdom was an integrated and cumulative process, predicated on achieving a dynamic balance between absolute royal authority, influential military elite, a centralized administrative apparatus, and a dominant religious institution. It further concludes that the disruption of this balance in its final phase constituted one of the fundamental causes that contributed to the state's entry into a period of decline and fragmentation.

Keywords: Reforms, Political, the New Kingdom.

المقدمة:

يُمثِّل عصر الدولة الحديثة ذروة التطور السياسي والعسكري لمصر القديمة، فقد تحوَّلت الدولة إلى إمبراطورية كبرى بسطت نفوذها المباشر وغير المباشر على مناطق واسعة من بلاد سورية القديمة والنوبة. وقد جاء هذا التحول الجيوسياسي نتيجة عملية تحوُّل شامل في النظام السياسي والإداري، تلت مرحلة التحرير من الهكسوس وإعادة توحيد البلاد، فرضت بناءً مركزياً جديداً للسلطة يقوم على أسس تنظيمية متينة.

لم يعد دور الملك في عصر الدولة الحديثة يقتصر على الوظائف التقليدية للحكم، بل تحوَّل إلى منصب مركزي يجمع بين القيادة العسكرية العليا، والزعامة الدينية، والإدارة الشاملة للدولة ونظامها الاقتصادي. وبرزت في هذه المرحلة علاقة تكاملية وثيقة بين السلطة السياسية والشرعية الدينية، وبين التوسع الإمبراطوري في الخارج وتعزيز الاستقرار الداخلي، وهو ما يعكس تطورًا متقدمًا وناضجًا في الفكر والممارسة السياسية لمصر القديمة.

تكمُن أهمية دراسة التحولات السياسية في هذا العصر في قدرتها على كشف الآليات التي حكمت إدارة الدولة الإمبراطورية، وبيان كيف نجح الحكّام في توظيف مقوّمات القوى المختلفة العسكرية، والإدارية، والاقتصادية، والدينية بشكل تكاملي لضمان استقرار الحكم وتماسك الكيان السياسي. كما تسلّط هذه الدراسة الضوء على حقيقة أن نهاية عصر الدولة الحديثة لم تكن حدثاً طارئاً أو مفاجئاً، بل كانت النتيجة الحتمية لتراكم اختلالات هيكلية مزمنة في منظومة الحكم، أدت بالتدريج إلى تآكل مقومات قوتها.

أهمية البحث:

1. يساهم في الكشف عن تطور الفكر السياسي المصري القديم خلال مرحلة التحوّل من دولة إقليمية إلى كيان إمبراطوري.
2. يُبيّن أن آليات التغيير السياسي كانت عمليةً تراكمية، وليست مجرد إجراءاتٍ آنيةً أو تكتيكاتٍ ظرفيةً مؤقتة.
3. يوضح طبيعة العلاقة بين السلطة الملكية المطلقة من جهة، والمؤسسات الرئيسية للدولة العسكرية والدينية والإدارية من جهة أخرى.
4. يُسهم في تحليل أسباب متانة الدولة الحديثة وعوامل ضعفها اللاحق من منظورٍ هيكليٍّ يركز على توازن القوى الداخلية.

5. يربط بين ملامح التطور السياسي في كل من عهدي الدولة القديمة والوسطى وعهد الدولة الحديثة، ضمن سياق تاريخي متصل يُظهر مسار التطور والتراكم في التجربة السياسية المصرية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحليل التحولات السياسية في عصر الدولة الحديثة من خلال:

1. تتبع التطورات في البنية المؤسسية للحكم المركزي وعلاقتها بتشكيل الدولة الإمبراطورية.
2. تحليل الأدوار المتعددة للمؤسسة العسكرية بوصفها أداةً للتوسع الخارجي وداعمًا للسلطة الداخلية.
3. فحص آليات توظيف الدين والأيديولوجيا في بناء شرعية الحكم وتعزيز السلطة الملكية.
4. دراسة التفاعل بين النجاحات العسكرية والسياسية في الخارج وتعزيز الاستقرار والتماسك الاجتماعي في الداخل.
5. تحليل العوامل الهيكلية والوظيفية التي أدت إلى تدهور النظام السياسي ونهاية عصر الدولة الحديثة.

مشكلة البحث: تتمثَّل إشكالية البحث في السؤال المركزي التالي: كيف ساهمت التحولات السياسية البنيوية في عصر الدولة الحديثة في تشكيل نموذج الحكم الإمبراطوري المصري، وما هي العوامل الداخلية الكامنة في هذا النموذج نفسه التي مهَّدت لمرحلة التراجع والتفكك في أواخر العصر؟

التساؤلات الفرعية:

1. إلى أي مدى كانت هذه التحولات تمثل عملية بنيوية تراكمية، وليست مجرد استجابات تكتيكية لأوضاع عابرة؟
2. كيف تمت إدارة العلاقة بين السلطة الملكية والمؤسسة الدينية، وما هو مدى استقلالية كل منهما وأثر ذلك على استقرار النظام؟
3. كيف أدت الأدوار المزدوجة للمؤسسة العسكرية (كوَأدَةٍ للتوسع الخارجي وركيزةٍ للأمن الداخلي) إلى تحوّلها لاحقًا إلى مصدر لتحدي السلطة المركزية وتقويض الاستقرار؟

ستتناول هذه الدراسة تلك التساؤلات في ثنايا البحث، ساعيًا إلى تقديم إجابات تحليلية تستند إلى الأدلة التاريخية والمنهجية العلمية، مع الحرص على الدقة والموضوعية والبُعد عن المبالغة.

فرضيات البحث:

1. شكلت التحولات السياسية في عصر الدولة الحديثة تطوراً تراكمياً للتجارب الحُكمية السابقة، وليس قطيعةً جذريةً معها.

2. ارتكزت مُتانة الدولة الحديثة على التفاعل الوظيفي بين المؤسسات الثلاث الأساسية العسكرية والدينية والإدارية.

3. مثّل التوسع الخارجي آليةً لتعزيز الاستقرار والشرعية الداخلية، بدرجة لا تقل عن كونه تعبيراً عن السياسة الإمبراطورية.

4. شكّل ازدياد هيمنة المؤسسة الدينية وتدخلها في الشأن السياسي في أواخر العصر عاملاً رئيساً ساهم في إضعاف السلطة المركزية وتماسك الدولة.

5. أدت مركزية الحكم المتعاظمة إلى نشوء حاجة مُلحّة لتطوير أجهزة رقابية وإدارية متخصصة ومعقدة للحفاظ على تماسك النظام.

منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي لتتبع تطور الإصلاحات السياسية عبر التسلسل الزمني. والمنهج الوصفي في عرض بنية النظام الإداري والعسكري والديني. والمنهج المقارن لربط إصلاحات الدولة الحديثة بنماذج الإصلاح في الدولة القديمة والوسطى. والتحليل السياسي التاريخي لفهم طبيعة السلطة والتوازن بين مؤسسات الدولة.

تمهيد: شهدت مصر القديمة عبر عصورها الثلاثة الكبرى الدولة القديمة، والدولة الوسطى، والدولة الحديثة مسارا متدرجا في تطور النظام السياسي واليات الحكم، فاذا كانت الدولة القديمة قد أرست مفهوم المركزية الملكية والبيروقراطية الإدارية الأولى، بينما مثلت الدولة الوسطى مرحلة إعادة بناء الدولة بعد الاضطراب السياسي وتطوير أدوات الرقابة والإدارة الإقليمية، فإن الدولة الحديثة جاءت بوصفها مرحلة النضج السياسي والإمبراطوري، فقد انتقل الإصلاح من نطاق داخلي إلى منظومة شاملة تمزج بين السياسة العسكرية، والتنظيم الإداري، والشرعية الدينية، والإدارة الاقتصادية للإمبراطورية.

وعليه، فإن دراسة الإصلاحات السياسية في الدولة الحديثة لا يمكن فصلها عن جذورها في العصور السابقة، بل تمثل امتدادا وتطورا تراكميا للتجربة السياسية المصرية، مع انتقال الدولة من الإطار المحلي إلى الفضاء الإمبراطوري، وما استدعى ذلك من تحولات هيكلية في مفهوم السلطة ووظائفها.

الإصلاحات السياسية في عصر الدولة الحديثة 1550–1085 ق.م: دراسة في التحولات الهيكلية وآليات الحكم.

يُمثِّل عصر الدولة الحديثة منعطفاً حاسماً في مسار الحضارة المصرية القديمة، فقد شهد ظهور سلسلة من الحكام الأقوياء الذين أعادوا تشكيل الكيان السياسي لحدود مصر الإقليمية. ويبرز من بينهم الملك (أحمس الأول) حكم حوالى ١٥٥٠-١٥٢٥ ق.م، مؤسس الأسرة الثامنة عشرة، الذي قاد عملية تحرير البلاد من الهكسوس، ووضع الأسس المتينة لقيام الدولة الحديثة ولبناء الإمبراطورية المصرية اللاحقة.

تمثّل الإنجاز المحوري لأحمس الأول في إعادة توحيد التراب المصري وإرساء سلطة مركزية موحّدة، وذلك عبر سلسلة من الحملات العسكرية التي أنهت أخيرًا السيطرة الهكسوسية على شمال مصر حوالي عام ١٥٥٠ ق.م. وقد جاء هذا الإنجاز تتويجًا لمرحلة الانقسام السياسي المعروفة باسم "الفترة الانتقالية الثانية" (حوالي ١٦٥٠-١٥٥٠ ق.م)، سيطر خلالها الهكسوس من عاصمتهم أفاريس في شرق الدلتا على شمال البلاد، بينما حافظت الأسرة السابعة عشرة الطيبية على الاستمرارية السياسية والثقافية للدولة المصرية من عاصمتها طيبة في الجنوب، ممهدةً بذلك الطريق لحركة التحرير التي توجت بقيام عصر الدولة الحديثة[1].

شكَّل عصر الدولة الحديثة منعطفاً حاسماً في التاريخ المصري من خلال ظهور قادة استثنائيين، يأتي في مقدمتهم الملك (أحمس الأول) حكم حوالي 1550-1525 ق.م، الذي لم يقتصر دوره على تحرير مصر من الهكسوس، بل أسس لمرحلة جديدة من الوحدة والتنظيم السياسي. تمثلت أبرز إنجازاته في محور إعادة البناء الداخلي إعادة توحيد البلاد بعد طرد الهكسوس، ونقل العاصمة إلى طيبة لتصبح مركزاً للسلطة السياسية والدينية، مع تقليص نفوذ حكام الأقاليم لصالح الحكم المركزي. ومحور التنظيم العسكري بتحويل الجيش إلى مؤسسة دولة فعَّالة، والاعتماد على العناصر الموالية ومكافأتهم، وتوجيهه لحملات خارجية لتحقيق الأمن الاستراتيجي وتأمين الموارد. ومحور السياسة الخارجية هي استغلال التوسع الخارجي في النوبة وبلاد سورية القديمة لتعزيز الاقتصاد عبر الغنائم. ومن ثم، تحقيق توازن بين متطلبات الداخل وطموحات الخارج[2].

حوَّل أحمس الأول الجيشَ إلى ركيزةٍ أساسية للدولة الحديثة وأداةٍ سياسية فاعلة، إذ تجاوز دوره مجرَّد التحرير من الهكسوس ليصبح أداةً لتعزيز السيطرة الداخلية وتحقيق الأمن الشامل. واعتمد في تحقيق ذلك على سياسةٍ منهجية للمكافآت الوظيفية والعقارية، من خلال منح الجنود والضباط المخلصين الأراضي والمناصب لضمان ولائهم. كما اضطلع الجيش بدورٍ محوري في خدمة السياسة الخارجية للدولة، إذ وجّه أحمس الحملات العسكرية نحو النوبة وبلاد سورية القديمة لتحقيق ثلاثة أهداف استراتيجية مترابطة وابرزها تأمين الحدود، وتحصيل الغنائم، وتوفير الموارد الاقتصادية. وقد مثّل هذا التوسع الخارجي آليةً سياسيةً فعَّالة لتعزيز موارد الدولة، وإرضاء النخبة العسكرية، وتحقيق توازنٍ دقيق بين متطلبات الاستقرار الداخلي وطموحات التمدد الخارجي[3].

مثَّلت هذه الركائز مجتمعةً الأساس المتين لقيام الدولة الحديثة، التي أصبحت نواة للإمبراطورية المصرية التي توسعت فيما بعد تحت قيادة خلفائه من الملوك.

تُشكِّل الأبعاد الاستراتيجية لسياسة أحمس الأول الدينية نموذجاً متقدماً في فن الحكم، فقد نجح في تحويل الدين إلى ركيزة استراتيجية لبناء الدولة من خلال الشرعنة الدينية المزدوجة توظيف رمز الإله آمون[4] كأعلى سلطة دينية لشرعنة الحكم. الجمع بين الشرعية الدينية والشرعية التاريخية من خلال تسويق نفسه وارثاً للأسرة السابعة عشرة، ومنح الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية لكهنة آمون احتواء النفوذ السياسي للكهنة عبر تحديد صلاحياتهم الإدارية، وتحقيق توازن دقيق بين منح الامتيازات وتقييد السلطات، وفضلاً عن ربط شرعية الأسرة الحاكمة بالانجاز العسكري والتكريس الديني وخلق تكامل استراتيجي بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة الدينية، وتأسيس نموذج حكم يجمع بين البطولة العسكرية والشرعية الدينية[5].

هذه الاستراتيجية المتكاملة أسست لنموذج حكم استمر في مصر القديمة لقرون، فقد نجح أحمس في تحويل الدين من منافس محتمل للسلطة إلى شريك في مشروع الدولة، مع الحفاظ على توازن دائم يمنع تحول الشرعية الدينية إلى سلطة منافسة.

مثّل عصر الدولة الحديثة مرحلة مهمة في تطور النظام السياسي المصري، وتُعد شخصية تحتمس الثالث (1479-1425 ق.م)[6] من أبرز نماذج القيادة الإصلاحية في هذه الفترة. بعد نهاية فترة الحكم المشترك مع الملكة (حتشبسوت)[7] حكمت حوالي (1479-1458 ق.م)، عمل تحتمس الثالث على تعزيز السلطة الملكية المركزية من خلال مجموعة من الإجراءات السياسية والإدارية. وأسس إصلاحاته خلال تعزيز الشرعية السياسية، وإعادة تأكيد سلطة الفرعون كحاكم أوحد للبلاد، ترسيخ صورة الملك القائد الأعلى للدولة والجيش. إعادة هيكلة النظام الإداري، وتطوير نظام الإدارة المركزية عبر منصب الوزير وتوحيد أجهزة الدولة (الضرائب، القضاء، الجيش، المعابد)، وإخضاع الأقاليم لرقابة إدارية مباشرة من العاصمة طيبة. وضمان الولاء السياسي من خلال ربط تعيينات حكام الأقاليم بالبلاط الملكي مباشرة ومنع تكون قوى إقليمية منافسة للسلطة المركزية وتحقيق الاستقرار السياسي بعد فترة الحكم المشترك[8].

شكّل الجيش في عهد تحتمس الثالث الركيزة الأساسية للإمبراطورية المصرية، حيث حقق انتصارات عسكرية تاريخية، أبرزها انتصاره في معركة (مجدو)[9]حوالي 1457 ق.م على التحالف الآسيوي بقيادة ملك قادش. وقد أسهمت هذه الانتصارات في ترسيخ مكانته كأحد أعظم القادة العسكريين في التاريخ المصري. الأسس التنظيمية للجيش وضعه تحت القيادة الملكية المباشرة، الاهتمام بالتدريب المنتظم والتسليح المتطور، تحويله إلى أداة سياسية لضمان ولاء المناطق التابعة. أما السياسة التوسعية تثبيت النفوذ المصري في آسيا عبر شبكة من الحاميات، تحويل النوبة إلى إقليم مصري مُدار مركزيًا، إنشاء نظام إداري متكامل في كوش برئاسة "ابن الملك في كوش". أما النظام الإداري في النوبة تعيين "نائب الملك في كوش"

الذي يُطلق عليه "ابن الملك في كوش" إقامة الحصون والحاميات العسكري، وخضوع الإقليم للإدارة المركزية في طيبة مباشرة من أبرز من تولى هذا المنصب "نحسي Nehesy"[10].

تمثل هذه السياسات نموجًا متقدمًا للإدارة الإمبراطورية، فقد جمع تحتمس الثالث بين البراعة العسكرية والحنكة الإدارية، مؤسسًا لنموذج استمر في حكم الإمبراطورية المصرية لقرون لاحقة.

اتبع تحتمس الثالث سياسة دينية متوازنة استمدّ أُطُرها من النموذج الذي أسّسه أحمس الأول، فجمع بين دعم المؤسسة الدينية والحفاظ على سيادة الحكم الملكي. وقد تجلّت هذه السياسة في ثلاثة أبعاد وأبرزها التكريس الديني للشرعية من خلال منح معابد آمون أوقافاً ضخمة، وتعزيز صورة الملك بصفته ابناً للإله آمون-رع، مما عزز شرعيته الدينية والسياسية. وموازنة النفوذ الديني والسياسي تمكّن من توظيف النفوذ الديني لدعم شرعيته، مع منع استقلالية الكهنة، والحفاظ على تبعية المؤسسة الدينية للسلطة الحاكمة. وفضلاً عن الاستمرارية والتطوير المؤسسي بناءً على سياسات الأسرة الثامنة عشرة، طوّر نموذجاً متقدماً للعلاقة بين القصر الملكي والمعبد، يجمع بين التعاون والرقابة[11].

مثّل هذا النهج استمرارية للتجربة المصرية في إدارة العلاقة بين الدين والدولة، فقد استطاع تحتمس الثالث تحقيق توازن دقيق بين منح الامتيازات وتقييد النفوذ، مما ضمن ولاء المؤسسة الدينية دون المساس بسيادة السلطة الملكية.

اتبع تحتمس الثالث استراتيجية اقتصادية ذكية لتعزيز الاستقرار السياسي، حيث وظف الموارد المستمدة من الغزوات - من غنائم وجزية وعوائد تجارية - كأدوات فعالة لتحقيق التوازن بين مراكز القوى في الدولة. آليات تنفيذ هذه الاستراتيجية توزيع موارد الغزو بشكل استراتيجي. وتخصيص جزء كبير من الغنائم الحربية لمكافأة الجيش وتعزيز ولائه، توجيه الجزية لتمويل المشاريع الدينية وكسب تأييد رجال الدين واستثمار العوائد التجارية في مشاريع البناء والتشييد[12].

أما بناء تحالفات داخلية متينة هي إرضاء النخب العسكرية عبر الهبات والعطايا المنتظمة وكسب دعم الكهنة عبر التبرعات السخية للمعابد، تعزيز ولاء الإداريين عبر نظام المكافآت والامتيازات. وتحقيق التماسك السياسي الذي يشمل ربط مصالح الفئات المؤثرة باستمرارية النظام الحاكم، وتحويل الاقتصاد إلى أداة للترابط الاجتماعي والسياسي وخلق شبكة مصالح متشابكة تدعم سلطة الملك[13].

تمثل هذه السياسة نموذجاً متقدماً في الإدارة الاقتصادية السياسية، إذ نجح تحتمس الثالث في تحويل الموارد الخارجية إلى رافعة لدعم الحكم الداخلي، معززاً بذلك مركزية الدولة وضمان استقرارها عبر توزيع مدروس للموارد يربط مصالح جميع الأطراف ببقاء النظام وازدهاره.

تُعد الأسرة التاسعة عشرة من أبرز الأسر الحاكمة في تاريخ مصر القديمة، فقد برز منها الملك المحارب رعمسيس الثاني (1303-1213 ق.م) الذي قاد فترة حكم التي استمرت 66 عاماً عدداً من الإصلاحات السياسية المهمة. تمثلت أبرز هذه الإصلاحات في تعزيز الحكم المركزي، ومن ثم واصل سياسة والده الملك سيتي الأول (1290-1279 ق.م)[14] في بناء دولة قوية موحدة، فعزز السلطة الملكية وجهاز الإدارة المركزية، ووسع نطاق السيطرة المباشرة على الأقاليم، مما أسهم في تحقيق الاستقرار الداخلي وتمكينه من متابعة حملاته العسكرية الطموحة في بلاد الشام والنوبة، كما عزز هيبة الدولة من خلال برنامج عمراني ضخم شمل إنشاء المعابد والتماثيل في أنحاء البلاد.

حرص رعمسيس الثاني على إخضاع حكام الأقاليم لرقابة مباشرة وفعالة، لمنع أي محاولة للانفصال أو تشكيل قوى منافسة، مما ضمن ولاء الأقاليم وتماسك الدولة. كما عمل على تعزيز مكانة العاصمة بر-رعمسيس[15] في شرق الدلتا، التي طورها لتصبح مركزاً إدارياً وعسكرياً متقدماً، يتميز بموقعه الاستراتيجي القريب من الحدود الآسيوية، مما سهل إدارة الحملات العسكرية وتأمين حدود المملكة.

اتبع رعمسيس الثاني استراتيجية عسكرية متطورة، فقد أعاد تنظيم الجيش إلى أربعة فيالق رئيسية، سُمّي كلٌ منها باسم إله مصري (آمون، رع، بتاح، ست). مثّل هذا التنظيم نقلة نوعية في هيكلة القوات المسلحة، فحوّلها إلى أداة فعالة للنفوذ السياسي داخلياً وخارجياً. كان هناك الأبعاد الاستراتيجية للتنظيم العسكري ربط القادة العسكريين مباشرة بالسلطة الملكية وتعزيز الولاء للنظام الحاكم وإضعاف نفوذ الأقاليم وتحقيق التوازن بين القوى المختلفة داخل الجيش. والتوظيف العسكري والدبلوماسي خاض الجيش المصري معركة قادش (حوالي 1274 ق.م)[16] ضد الحيثيين تمخضت المعركة عن توقيع أول معاهدة سلام مدونة في التاريخ (1259 ق.م) عُقدت المعاهدة مع الملك الحيثي حاتوشيلي الثالث (حوالي 1267-1237 ق.م)[17]. أما الآثار الإستراتيجية للمعاهدة تجسيد الوعي بضرورة الحلول السلمية في السياسة الخارجية، تأمين الحدود الشمالية الشرقية لمصر وتوفير الظروف الملائمة للتركيز على الإصلاحات الداخلية، تحويل الموارد من الحروب إلى مشاريع التنمية[18].

مثّلت هذه المعاهدة نقلة نوعية في الفكر السياسي المصري القديم، فقد جمعت بين القوة العسكرية والحكمة الدبلوماسية، مما أسس لمرحلة جديدة من الاستقرار الإقليمي والازدهار الداخلي.

اتبع رعمسيس الثاني سياسة دينية متوازنة تجاه المؤسسة الكهنوتية، تميزت بالحكمة. فقد تجنب الدخول في صراع مفتوح مع كهنة آمون، مما كان سيضعف موقفه السياسي داخلياً. وعوضاً عن ذلك، انتهج استراتيجية التوزيع المتوازن للرعاية الملكية بين المراكز الدينية الرئيسية الأسس الاستراتيجية للسياسة الدينية توزيع الرعاية الملكية من خلال دعم معبد آمون في طيبة ورعاية معبد بتاح في منف والاهتمام بمعبد رع في هليوبوليس. وتحقيق التوازن الديني أي منع تركيز النفوذ في مركز ديني واحد، وتحقيق التكامل بين المراكز الدينية المختلفة وضمان ولاء الكهنة للنظام الحاكم. أما تعزيز السلطة المركزية فهي توظيف الدين لدعم شرعية الحكم والحفاظ على السيادة الملكية المطلقة وتحقيق الاستقرار السياسي الداخلي[19].

هذه السياسة نموذجاً متقدماً في إدارة العلاقة بين الدين والدولة، إذ نجح رعمسيس الثاني في تحويل التنوع الديني إلى مصدر قوة للسلطة المركزية، مع الحفاظ على التوازنات الداخلية وتأمين الاستقرار السياسي، وهو ما يتوافق مع نجاحاته في السياسة الخارجية.

يُمثِّل الملك رعمسيس الثالث Ramses II (حوالى 1186-1155 ق.م)[20] آخر الحكام في الدولة الحديثة، فقد نفذ مجموعة من الإصلاحات السياسية والعسكرية لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية. أسس الإصلاح السياسي من خلال تعزيز الشرعية السياسية أي تأكيد السلطة الملكية المطلقة بعد فترات الاضطراب وتقديم صورة الملك كقائد عسكري أعلى وحامي الحدود، وترسيخ المكانة الدينية كوسيط بين الآلهة والشعب. أما التنظيم العسكري المتطور أي تطوير الهيكل العسكري لمواجهة شعوب البحر والليبيين، ومنح صلاحيات واسعة للقادة تحت الإشراف الملكي المباشر إنشاء أسطول حربي لحماية السواحل والدلتا، وتحقيق التوازن بين تفويض السلطة وضمان الولاء. والحفاظ على نظام حكام الأقاليم مع تقييد صلاحياتهم وإخضاع الإدارة المحلية للسلطة المركزية في العاصمة، وتكثيف الرقابة الإدارية على الصعيد والدلتا لمنع ظهور أي نزعات انفصالية أو استقلالية[21].

تمثل هذه السياسات نموذجاً متقدماً لإدارة الدولة في عصر الاضمحلال، إذ نجح رعمسيس الثالث في الحفاظ على وحدة مصر وسيادتها في وجه التحديات التي أدت لاحقاً إلى نهاية الدولة الحديثة.

كما عمل رعمسيس الثالث على إعادة تنظيم الجيش لتدعيم أركان الحكم، خاصة في أعقاب الهجمات التي شنتها شعوب البحر والقبائل الليبية. فمنح قادة الجيش والإدارة سلطات واسعة، لكن تحت إشرافه المباشر لضمان ولائهم. واستخدم الأسطول الحربي لحماية حدود الدلتا البحرية، كما عزز سيطرته على

الأقاليم، فقد أبقى على نظام حكامها المحليين ولكن مع إخضاعهم للسلطة المركزية في العاصمة. كما كثَّف من آليات الرقابة في صعيد مصر والدلتا لمنع حدوث انقسامات مجددة[22].

أسس رعمسيس الثالث لمرحلة جديدة في إدارة الدولة من خلال توظيف الدين كأداة سياسية فاعلة؛ فمنح كهنة آمون في طيبة امتيازات واسعة عززت من نفوذهم الديني والسياسي بشكل كبير. وفي طيبة الغربية، شيّد معبده الجنائزي الشهير (مدينة هابو)[23] لتثبيت صورته كملك محارب، وتعزيز اندماج السلطة الزمنية والروحية في شخصه[24].

ولم تقتصر إصلاحاته على الجانبين الديني والعسكري، بل امتدت إلى القضاء، فقد أجرى إصلاحاتٍ هامة في الجهاز القضائي، تمثلت في إنشاء محاكم متخصصة لمحاكمة المتورطين في "مؤامرة الحريم" التي استهدفت حياته. وشكّلت هذه المحاكمات سابقةً قانونية بارزة في مسيرة فصل القضاء عن تأثير البلاط الملكي، مما يمثل أحد النماذج الأولى لتجسيد مبادئ الحكم المؤسسي في تاريخ مصر القديم[25].

غير أن هذه السياسات نفسها حملت في طياتها بذور الضعف المستقبلي. فالامتيازات الواسعة والثروات الهائلة التي منحها رعمسيس الثالث وكهنة آمون، أدت على المدى الطويل إلى تآكل سلطة الملك لصالح الكهنوت. وبعد وفاة آخر ملوك الأسرة العشرين، رعمسيس الحادي عشر، استغل كهنة آمون نفوذهم المتعاظم للسيطرة على الجنوب من طيبة، بينما حكم سمندس في الشمال، مما أدى إلى انقسام البلاد وبداية عصر الاضمحلال الثالث. وهذا الانقسام الداخلي، الذي بلغ ذروته بوفاة رعمسيس الحادي عشر، هو ما مهّد الطريق لسلسلة الاحتلالات الأجنبية التي أعقبت ذلك، بدءًا من الليبيين والنوبيين، وانتهاء بالفرس. ليغلق بذلك فصلًا مجيدًا من تاريخ مصر القديمة ويفتح أبوابًا على حقبة جديدة من التحديات[26]

الاستنتاجات:

1. شكّل عصر الدولة الحديثة مرحلة إعادة تأسيس للنظام السياسي المصري على قاعدة المركزية القوية بعد طرد الهكسوس.
2. أسهم أحمس الأول في وضع الأسس الهيكلية للدولة الحديثة عبر التوحيد، وتقوية السلطة الملكية، وربط الشرعية بالإنجاز العسكري والدعم الديني.
3. تحوّل الجيش في هذا العصر إلى مؤسسة دولة محورية ذات دور سياسي واقتصادي، ولم يعد مجرد أداة دفاعية.
4. طوّر تحتمس الثالث نموذج الإدارة الإمبراطورية من خلال تنظيم الأقاليم التابعة، وتعزيز الرقابة المركزية، وربط الولاءات بالبلاط الملكي.
5. مثّل عهد رعمسيس الثاني مرحلة نضج في الفكر السياسي، حيث ظهر التوازن بين القوة العسكرية والدبلوماسية، كما في معاهدة قادش.
6. اتسمت العلاقة بين الدين والدولة بالتوظيف السياسي المتبادل، إذ استُخدم الدين لتعزيز الشرعية، مع محاولة الملوك منع استقلال المؤسسة الكهنوتية.
7. أظهرت إصلاحات رعمسيس الثالث قدرة الدولة على إدارة الأزمات، لكنها في الوقت نفسه كشفت عن بدايات الخلل البنيوي نتيجة تضخم نفوذ الكهنة.
8. كان استقرار الدولة الحديثة قائمًا على توازن بين الجيش والكهنوت والإدارة، وأي اختلال في هذا التوازن أدى إلى تراجع السلطة المركزية.
9. إن ضعف الدولة الحديثة في أواخرها لم يكن نتيجة حدث واحد، بل نتيجة تراكم إصلاحات غير متوازنة أدت إلى صعود قوى موازية للسلطة الملكية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً : المصادر العربية.

1. حسن، سليم: موسوعة مصر القديمة "في مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الإهناسي"، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2000م).
2. أديب، سمير: موسوعة الحضارة المصرية القديمة، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2000م).
3. فخري، أحمد: مصر الفرعونية، (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2012م)

ثانياً: المصادر الاجنبية.

4. Petty, Bill:Ahmose : An Egyptian soldier's story(Littleton , Colorado: Museum Tour Press, 2004).
5. The New Encyclopedia Britannica, 1-348:7-579: 11-679.
6. Anthony J. Spalinger: WAR IN ANCIENT EGYPT the New Kingdom (LONDON &NEW YORK, BLACKWELL PUBLISHING, 2005).
7. Kurt Sethe: Urkunden des ägyptischen Altertums, Urkunden der 18 Dynastie,(Leipzig: Hindrich'sche Buchhandlung, 1932), Vol. IV.
8. Gabriel, Richard : Thutmose III: A Military Biography of Egypt's Greatest Warrior King (Dulles, Virginia: Potomac Books,2009).
9. Gabriel, Richard : Thutmose III: A Military Biography of Egypt's Greatest Warrior King (Dulles, Virginia: Potomac Books,2009).
10. Dodson, Aidan, Hilton, Dyan: The Complete Royal Families of Ancient Egypt,(U.K. Thames & Hudson,1962).
11. Bryan, Betsy : Administration in the Reign of Thutmose III: A New Biography, (U.S:THE UNIVERSITY OF MICHIGAN PRESS,2009).
12. Kitchen, Kenneth Anderson:Pharaoh triumphant : the life and times of Ramesses II, (Cairo, Egypt : American Univ. in Cairo Press,1990).
13. Freed, Rita : Ramses II the great pharaoh and his time(Denver : Denver Museum of Natural History,1987).
14. AIDAN DODSON: Rameses III, King of Egypt: His Life and Afterlife,(Cairo , New York : The American University in Cairo Press,2019).

15. Giovanni D'Athanasi: A Brief Account of the Researches and Discoveries in Upper Egypt, Made Under the Direction of Henry Salt(LONDON : John Hearne, 1836)

الهوامش:

(1) Petty, Bill:Ahmose : An Egyptian soldier's story(Littleton , Colorado: Museum Tour Press, 2004),P.121-122.

(2) حسن، موسوعة مصر القديمة، ج4، ص68.

(3) Anthony J. Spalinger: WAR IN ANCIENT EGYPT The New Kingdom (LONDON &NEW YORK, BLACKWELL PUBLISHING, 2005), P.4-5.

(4) أعظم آلهة مصر القديمة، ارتبط بالسلطة الملكية. اسمه يعني "المختفي" أو "الخفي"، واتحد مع إله الشمس ليصير "آمون-رع". كان مركز عبادته في معبد الكرنك بالطيبة (الأقصر حالياً) في عصر الدولة الحديثة، أصبح إله الدولة الرسمي ومصدر شرعية الحكم. مثل رمزاً للوحدة بين شمال مصر وجنوبها، فقد قدّم الفراعنة أنفسهم كممثلين له على الأرض. بلغت قوة كهنته درجة كبيرة أثرت على توازن السلطة بين الدين والملكية. (يُنظر:
The New Encyclopedia Britannica, 1-348 :7-579: 11-679

(5) Kurt Sethe: Urkunden des ägyptischen Altertums, Urkunden der 18 Dynastie, (Leipzig: Hindrich'sche Buchhandlung, 1932), Vol. IV, P.21.

(6) يُعدُّ تحتمس الثالث (حكم حوالى 1479-1425 ق.م) أحد أبرز حكام الأسرة الثامنة عشرة. تولى العرش وهو طفل بعد وفاة والده تحتمس الثاني، وخضع لوصاية زوجة أبيه، الملكة حتشبسوت، التي حكمت كفرعونٍ فعليٍّ لأكثر من عقدين. وبعد وفاتها حوالى عام 1458 ق.م، حكم تحتمس الثالث منفرداً لأكثر من ثلاثين عاماً، مسجلاً إحدى أطول فترات الحكم في تاريخ مصر.الإنجازات العسكرية والتوسع الإمبراطوري قاد تحتمس الثالث ما لا يقل عن سبع عشرة حملة عسكرية ناجحة، وسَّع خلالها النفوذ المصري في بلاد سورية القديمة ووصل إلى نهر الفرات في مواجهة مملكة ميتاني. ويُعدُّ انتصاره الحاسم في معركة مجدو (حوالي 1457 ق.م) نموذجاً للبراعة التكتيكية والتخطيط الاستراتيجي. كما أسس نظاماً دفاعياً متقدماً لحماية حدود الإمبراطورية وتأمين طرق التجارة الدولية. (يُنظر: Gabriel, Richard : Thutmose III: A Military Biography of Egypt's Greatest Warrior King (Dulles, Virginia: Potomac Books,2009) P. 40-41

(7) تُعَدُّ الملكة حتشبسوت حكمت حوالى 1479-1458 ق.م، إحدى أبرز الشخصيات النسائية في التاريخ المصري القديم، فقد حكمت كفرعونٍ ذي سلطة كاملة خلال الأسرة الثامنة عشرة، وتميَّز عهدها بالإنجازات العمرانية والاقتصادية البارزة. الخلفية العائلية ومسيرتها نحو الحكم بصفتها ابنة الملك تحتمس الأول والملكة أحمس، تزوَّجت من أخيها غير الشقيق تحتمس الثاني ابن تحتمس الأول من زوجة ثانوية. وبعد وفاة زوجها، تولَّت الوصاية على ابنهما الصغير تحتمس الثالث، قبل أن تعلن نفسها فرعوناً كاملاً بعد نحو سبع سنوات من الوصاية. وتبنَّت الألقاب والرموز الملكية الكاملة، وارتدت الزيّ الملكي التقليدي (بما في ذلك اللحية المستعارة)، وأشارت في نقوشها إلى نفسها كابنة للإله رع، مؤكِّدةً بذلك انتسابها الشرعي إلى سلالة تحتمس الأول. والإنجازات البارزة ركزت حتشبسوت على المشاريع العمرانية والمعمارية الضخمة، وأشهرها معبد الدير البحري الذي يُعَدُّ من روائع العمارة المصرية

القديمة. كما نشَّطت التجارة الخارجية، إذ تُعدُّ رحلة بلاد بونت أشهر رحلاتها التجارية. وحافظت على استقرار الدولة وازدهارها الاقتصادي من خلال سياسة حكيمة جمعت بين الدبلوماسية النشطة والبناء الداخلي. تُجسِّد حتشبسوت نموذجاً فريداً للمرأة في الحكم في مصر القديمة، فقد استطاعت إثبات شرعيتها كفرعون كامل الصلاحيات، وتركت إرثاً حضارياً متميزاً، متحديةً بذلك التقاليد الذكورية السائدة في نظام الحكم آنذاك. (يُنظر: The New Encyclopedia Britannica, 5-774: 10-591: 11-748: 18-115: 18-148: 20-598).

(8) أديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ص258-261.

(9) تُعد معركة مجدو (حوالي 1457 ق.م) منعطفاً حاسماً في التاريخ العسكري المصري، وهي من أقدم المعارك التي وُثّقت تفاصيلها بدقة في السجلات المصرية القديمة. وقعت المعركة في شمال فلسطين بمنطقة مجدو الاستراتيجية، التي شكلت نقطة اتصال حيوية بين مصر وبلاد سورية القديمة، ومحوراً للسيطرة على طرق التجارة والاتصالات الإقليمية. التحضيرات العسكرية اعتمد تحتمس الثالث استراتيجية عبور ممرات جبلية وعرة لمفاجأة قوات التحالف الكنعاني، مظهراً براعة في التخطيط اللوجستي، كما تميز بتنظيم عسكري متقدم واستخدام فعّال للمركبات الحربية. سير المعركة دار القتال لعدة أيام وتوّج بحصار مدينة مجدو، وانتهى باستسلام قوات التحالف وهزيمتهم الساحقة تحت القيادة المباشرة للملك. النتائج الاستراتيجية حقق الجيش المصري انتصاراً حاسماً عزز الهيمنة المصرية في بلاد سورية القديمة، وفرض نظاماً للجزية على المدن المتمردة، ورسّخ لقب "فرعون العالم" كرمز للسيادة الإقليمية المطلقة. مثلت المعركة بداية التوسع الإمبراطوري المصري المنظم، وأسست نموذجاً للحملات العسكرية المصرية في الخارج، كما شكّلت ذروة تطور الفن العسكري المصري في عصر الدولة الحديثة. تمثّل هذه المعركة نموذجاً متكاملاً للتفوّق الاستراتيجي المصري، فقد جمعت بين التخطيط المحكم، والتنفيذ الدقيق، والنتائج السياسية والاقتصادية بعيدة المدى. (يُنظر: The New Encyclopedia Britannica,1-279: 18-115: 29-984

(10) Gabriel, Richard: Thutmose III: A Military Biography of Egypt's Greatest Warrior King (Dulles, Virginia: Potomac Books, 2009) P.43-44.

(11) Dodson, Aidan, Hilton, Dyan: The Complete Royal Families of Ancient Egypt, (U.K. Thames & Hudson, 1962) p.132.

(12) Bryan, Betsy: Administration in the Reign of Thutmose III: A New Biography, (U.S: THE UNIVERSITY OF MICHIGAN PRESS, 2009), P.69-72.

(13) Bryan, Betsy: Administration in the Reign of Thutmose III: A New Biography, (U.S: THE UNIVERSITY OF MICHIGAN PRESS, 2009), P.69-72.

(14) يُعدُّ سيتي الأول (حكم حوالى 1290-1279 ق.م) من أبرز حكام الأسرة التاسعة عشرة في عصر الدولة الحديثة، فقد تميَّز عهده بإنجازات عسكرية وعمرانية بارزة. ففي المجال العسكري، قاد حملات ناجحة لاستعادة النفوذ المصري في سوريا وفلسطين، وواجه التهديدات الحيثية والممالك المحلية المتمردة، ونجح في تأمين الحدود الشمالية والشرقية لمصر، كما أسس قاعدة عسكرية وسياسية متينة مهَّدت لانتصارات ابنه رعمسيس الثاني. أما في السياسة الداخلية، فقد اهتم بتعزيز السلطة المركزية ووحدة البلاد، وتزوج الملكة تويا التي أنجبت له ولي العهد رعمسيس الثاني. وعلى الصعيد العمراني، شهد عهده تشييد الصالة الأفقية في معبد الكرنك، وإنشاء معبد جنائزي في

أبيدوس، وتنفيذ مشاريع معمارية في طيبة ومنف. وقد مثّل عهده مرحلة انتقالية حاسمة أعادت هيبة مصر الدولية بعد فترة من الضعف النسبي، ووضعت الأسس لعهد ابنه رعمسيس الثاني الذي شهد ذروة القوة الإمبراطورية. وعليه، تمثل شخصية سيتي الأول نموذجاً للحاكم الكفء الذي جمع بين البراعة العسكرية والحنكة السياسية، فقد حقق في فترة حكم قصيرة نسبياً إنجازات كبيرة على المستويين الداخلي والخارجي. (يُنظر: The New Encyclopedia Britannica,1-48: 6-675: 10-660: 11-680: 18-147

(15) شكّلت بر-رعمسيس العاصمة الإدارية والعسكرية لمصر خلال حكم الملك رعمسيس الثاني حكم 1279-1213 ق.م، وتمثّل إحدى أبرز العواصم التي أُنشئت في عصر الدولة الحديثة. تقع المدينة في شرق دلتا النيل بالقرب من منطقة قنتير الحالية (محافظة الشرقية)، في موقعٍ استراتيجي مميّز على فرع النيل البيلوزي السابق، مما ضمن سهولة المواصلات النهرية والبحرية وشكّل نقطة وصل حيوية بين مصر وطرق التجارة الآسيوية. وقد أدّت المدينة وظائف متعددة مركزاً للإدارة الملكية والحكم المركزي، وقاعدة عسكرية متقدمة للسيطرة على الحدود الشرقية وتأمينها، ومحوراً اقتصادياً نشطاً للتجارة الدولية مع بلاد سورية القديمة والعالم المحيط. لذا، تمثّل بر-رعمسيس نموذجاً متكاملاً للعاصمة الملكية التي جمعت بين الوظائف السياسية والعسكرية والاقتصادية في كيان واحد، وهو ما يعكس الرؤية الاستراتيجية للملك رعمسيس الثاني في بناء دولة مركزية قوية ومتماسكة. (يُنظر: The New Encyclopedia Britannica, 18-113.

(16) تُعدُّ معركة قادش (حوالي 1274 ق.م) واحدةً من أبرز الصراعات العسكرية في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ومثّلت ذروة التنافس بين مصر القديمة والإمبراطورية الحيثية على النفوذ في بلاد سورية القديمة. وقعت المعركة في شمال سوريا على نهر العاصي بالقرب من مدينة قادش الاستراتيجية، التي كانت تُشكل محوراً للسيطرة على طرق التجارة والموارد الحيوية في المنطقة. اشتبك في هذه المواجهة جيشان عظيمان هما الجيش المصري بقيادة الملك رعمسيس الثاني، والجيش الحيثي بقيادة الملك موواتّالي الثاني، بدعم من مرتزقة وحلفاء من ممالك المنطقة المجاورة. وقد تكبّد الطرفان خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات دون أن يحقق أي منهما نصراً حاسماً، مما أدّى في النهاية إلى انسحاب القوات مع احتفاظ كلٍّ منهما بمواقعه الأساسية. أدّت هذه النتيجة إلى توقيع أول معاهدة سلام موثّقة في التاريخ (حوالي 1269/1259 ق.م)، والتي حدّدت مناطق النفوذ، وأمنت المصالح التجارية والاستراتيجية لكلا الإمبراطوريتين، وفتحت قنوات اتصال دبلوماسية مستمرة بينهما. تُجسّد معركة قادش تحولاً مهماً في السياسة الخارجية المصرية؛ فقد انتقلت مصر من منطق الهيمنة العسكرية المباشرة إلى نهج التوازن الإقليمي والتعايش السلمي، مما كفل لها استقرار حدودها الشمالية وحماية مصالحها في بلاد سورية القديمة لعقود طويلة. كما شكلت هذه المعركة ومعاهدتها نموذجاً مُبكراً للتسوية الدبلوماسية في الصراعات الدولية، وأسست لمرحلة جديدة من العلاقات القائمة على مبدأ توازن القوى في المنطقة. (يُنظر: The New Encyclopedia Britannica,6-675: 9-922: 9-927).

(17) يُعدُّ حاتوشيلي الثالث حكم حوالى 1267-1237 ق.م، أحد أبرز ملوك الإمبراطورية الحيثية في أواخر العصر البرونزي، واشتهر بمهاراته الدبلوماسية الفائقة وقدرته على تثبيت أركان إمبراطوريته في مرحلة دقيقة من تاريخها. وهو ابن الملك مورسيلي الثاني، وقد تولى العرش بعد صراع داخلي مع أفراد الأسرة الحاكمة. واجه حاتوشيلي الثالث خلال حكمه تحديات كبيرة، منها تهديدات القبائل في الأناضول والمناطق الجبلية الشمالية. وركّز سياسته على الدفاع والدبلوماسية مع الحفاظ على قوة الجيش، محققاً بذلك توازناً دقيقاً بين المصالح الداخلية والخارجية لإمبراطوريته. أبرز إنجازاته الدبلوماسية هو توقيع معاهدة السلام التاريخية مع الملك المصري رعمسيس

الثاني (حوالي 1259 ق.م)، التي تُعدُّ أول معاهدة سلام دولية موثقة في التاريخ. ونصت المعاهدة على بنود مهمة، ومنها عدم الاعتداء، والتحالف العسكري المتبادل، وترسيم حدود النفوذ بين الإمبراطوريتين، وتسليم الفارين، وتبادل الأسرى، وتقديم المساعدة المتبادلة في حالة تعرض أي من الطرفين لهجوم خارجي. تمثّل شخصية حاتوشيلي الثالث نموذجاً للحاكم الدبلوماسي الذي استطاع تحويل التحديات إلى فرص للاستقرار والازدهار، مؤكداً أن القوة الحقيقية لا تكمن في الغزو العسكري فحسب، بل أيضاً في القدرة على بناء نظام دولي قائم على الاستقرار والتعاون. (يُنظر:

The New Encyclopedia Britannica,5-748 : 5:591 : 8-549 : 20-599: 24-92 : 28-935

(18) Kitchen, Kenneth Anderson: Pharaoh triumphant: the life and times of Ramesses II, (Cairo, Egypt: American Univ. in Cairo Press, 1990), p.73-74.

(19) Freed, Rita: Ramses II the great pharaoh and his time (Denver: Denver Museum of Natural History, 1987), p.53-54.

(20) يُعدُّ رعمسيس الثالث (حكم حوالى 1186-1155 ق.م) آخر الحُكَّام العظام في عصر الدولة الحديثة، حيث تولى عرش مصر في فترة حرجة من تاريخها، وتمكَّن من الحفاظ على كيان الدولة ووحدتها في مواجهة التحديات الخارجية والداخلية المتفاقمة. تولَّى الحكم خلفًا لوالده ست ناختي مؤسس الأسرة العشرين، في فترة شهدت تصاعدًا خطيرًا في التهديدات الخارجية، خاصةً من قبائل" شعوب البحر "والقبائل الليبية. تصدَّى بنجاحٍ لغزوات" شعوب البحر "المدمرة في معركتي البر والبحر الشهيرتين (حوالي 1178 ق.م)، وقاد حملاتٍ ناجحةً لتأمين الحدود الغربية ضد القبائل الليبية. كما حافظ على الأمن الداخلي واستقرار الحدود المصرية عبر شبكةٍ دفاعيةٍ محكمة. أما الإنجازات العمرانية والسياسة الدينية شيّد معبده الجنائزي الضخم والمعروف بـ" معبد مدينة هابو "في طيبة، الذي يُعدُّ تحفةً معماريةً سجَّل على جدرانه تفاصيل انتصاراته العسكرية. وواصل دعم المؤسسة الدينية التقليدية عبر رعاية معابد آمون في طيبة، وشيَّد معابد إضافية في النوبة، مؤكِّدًا على الشرعية الدينية للأسرة الحاكمة. مثَّل عهده آخر مراحل القوة المركزية الفاعلة للدولة الحديثة. ورغم نجاحه في صد أخطر الغزوات التي واجهتها مصر آنذاك، إلا أن عصره شهد بدايات الترهل الإداري والاضطرابات الاقتصادية التي مهَّدت لمرحلة الاضمحلال اللاحقة. يجسِّد رعمسيس الثالث نموذج الحاكم الذي حشد موارد الدولة للدفاع عن التراث الحضاري المصري في عصر انتقالي صعب، جامعًا بين البراعة الدفاعية والحكمة السياسية الداخلية، مما أكسبه لقب آخر الملوك العظام في التاريخ المصري القديم. (يُنظر: The New Encyclopedia Britannica, 9-928:18-118:20-599

(21) AIDAN DODSON: Rameses III, King of Egypt: His Life and Afterlife,(Cairo , New York : The American University in Cairo Press,2019),p.16.

(22) Giovanni D'Athanasi: A Brief Account of the Researches and Discoveries in Upper Egypt, Made Under the Direction of Henry Salt(LONDON : John Hearne, 1836),P.7.

(23) تُمثّل مدينة هابو أحد المواقع التاريخية البارزة في مصر القديمة، وتشتهر بشكل أساسي بالمجمع المعماري الضخم الذي يضم المعبد الجنائزي للملك رعمسيس الثالث. يقع الموقع على الضفة الغربية للنيل في طيبة (الأقصر الحالية)، مُقابلاً للمراكز الدينية الرئيسة على الضفة الشرقية. وشكّلت المدينة جزءاً من نسيج المستوطنات الحضرية التي أحاطت بالعاصمة الدينية والسياسية لطيبة في عصر الدولة الحديثة. يُعد المعبد الجنائزي لرعمسيس الثالث الأثر الأبرز في الموقع، حيث جُعِل مكرّساً لإقامة الطقوس الجنائزية للملك ولعبادة الإله آمون-رع إلى جانب

ثالوث طيبة وآلهة أخرى. وقد حُفِرت على جدرانه نقوش بارزة وتسجيلات هيروغليفية مفصّلة تسجّل انتصاراته العسكرية، وخاصةً تلك التي حققها ضد شعوب البحر والقبائل الليبية. لا تقتصر وظيفة هذه النقوش على تسجيل الأحداث وتخليد انتصارات الملك فحسب، بل إنها تُعَدّ وسيلة دعائية متقنة تُبرز هيبة الدولة وسلطتها، كما تعكس كفاءة التنظيم العسكري وقدرته على حماية حدود مصر وتأمين استقرارها في فترة حرجة من تاريخها. وبذلك، يجسّد المعبد بُعداً أعمق من مجرد صرح ديني؛ فهو نصب تذكاري يُخلّد قوة الدولة وسيادتها في أوج عصرها الإمبراطوري. (يُنظر:

The New Encyclopedia Britannica, 7-656 : 11-680 : 18-118 : 18-149

(24) AIDAN, Rameses III, p.77.

(25) Ibid, p.77.

(26) فخري، مصر الفرعونية، ص23-25.